نحو النص في كتابات اللسانيّن العرب المعاصرين_قراءة في المنجز والمسارات_

Textual Grammar in the Works of Contemporary Arab Linguists: An Examination of Accomplishments and Trajectories.

أنساعد حليمة السعدية[1]*

جامعة عبد الحميد بن باديس(مستغانم)، الجزائر

halima.ensaad.etu@univ-mosta.dz

تاريخ الارسال2024/01/25تاريخ القبول 2024/04/17 تاريخ النشر2024/06/01

ملخص:

أتت هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على اتجاه نحو النص في كتابات اللسانين العرب المعاصرين في قراءة لأبرز مؤلفاتهم، أمثال : أحمد عفيفي، الأزهر الزناد، محمد الشاوش.... وغيرهم؛ ببيان قيمتها العلمية والمعرفية، ومساهمتها في التأسيس لاتجاه "نحو النص" في الدرس اللساني النصي المعاصر تنظيراً وتطبيقاً. وقد أثبتت هذه الدراسة أن الباحثين العرب قد سارعوا لتبني هذا العلم الجديد واعطائه الاهتمام والعناية الفائقة وقد اختلف هذا التبني من باحث لآخر كل حسب منظوره فمنهم من اكتفى بالتنظير وآخرون بالتطبيق، وقد انطلقت هذه الكتابات بالدرجة الأولى مما استقر في النظرية النحوية العربية ثم أحدث ما توصلت إليه الدراسات الغربية محاولة التأسيس لنحو النص.

الكلمات المفتاحية: نحو النص، نحو الجملة، نص، خطاب، جملة.

Abstract: The present research paper aims to shed light on the textual analysis of the works of contemporary Arab linguists, examining the prominent contributions of scholars such as Ahmed Afifi, Al-Azhar Al-Zannad, and Muhammad Al-Shawish, among others. It illustrates this trend's scientific and cognitive significance, emphasizing its role in advancing the "towards the text" paradigm within contemporary textual linguistic theory and application. This study demonstrates that Arab researchers have expeditiously embraced this emerging discipline, affording it substantial attention and meticulous consideration. The reception of this discipline varied among researchers, each approaching it from a unique perspective. Some focused on theoretical aspects, while others delved into practical applications. These endeavors were primarily rooted in established Arabic grammatical theories, progressing to incorporate insights from more contemporary Western studies attempting to establish textual grammar.

Keywords: textual grammar, syntax, text, discourse, sentence.

*المؤلف المرسل **أنساعد حليمة السعدية**

1. مقدمة:

ظلّت أنظار اللسانيّين والنحويّين متجهة صوب الجملة باعتبارها أكبر وحدة لغوية قابلة للتحليل، ولم يشهد الفكر اللساني تحولا عن هذا النهج حتى نهاية الستينيات، أين بدأ بعض الباحثين بالدعوة إلى ضرورة تجاوز الجملة إلى فضاء أوسع وأكثر ملائمة للدراسة، مما انبثق عنه في نهاية المطاف ما عرف بـ"نحو النص" و هو توجه لساني جديد جاء تجاوزا لنحو الجملة بمختلف توجهاته و أفكاره ليحمل على عاتقه مهمة وصف وتحليل النصوص والخطابات بمجموعة من الإجراءات والقواعد والأسس، وقد أتت هذه الورقة البحثية للوقوف على هذا الاتجاه الجديد في تحليل النصوص في كتابات العرب المعاصرين، وحاولت أن تقدم قراءة في إسهامات الباحثين العرب في هذا المجال، وإزالة اللثام عن جملة من الإشكاليات: 1- ما هي أهم أسس وأهداف نحو النص؟

2- كيف تجلى هذا الاتجاه في كتابات الباحثين العرب المعاصرين؟

والتي سنحاول الإجابة عنها وفق الخطة الآتية: بدأنا بتعريف نحو النص والوقوف على نشأته وتطوره في الدراسات الغربية، ثم وقفنا على نشأنه وتطوره في الدراسات العربية المعاصرة بقراءة في أهم الكتب التي تناولت هذا الاتجاه، وأخيرا خاتمة ضّمناها أهم النقاط النتائج المتوصل إليها بعد خوض غمار هذه الإشكالية.

2.مفهوم نحو النص (text grammar):

يعرف نحو النص بأنه: "نمطٌ من التحليل ذو وسائل بحثية مركّبة، تمتدّ قدرتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكوّنات التركيبية داخل الجملة intrasententialconstituents) (، وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرّجي، يبدأ من علاقات ما بين **الجمل**(intersentential relations)، ثمّ الفقرة(paragraph) ، ثمّ النص (text) (أو الخطاب discourse) بتمامه".[1] بهذا يهتم هذا النوع من البحوث بدراسة الروابط والعلاقات بين أجزاء النصوص والوقوف على اتساقها وانسجامها متجاوزة بذلك حدود الجملة الواحدة إلى فضاء ممتد من الجمل والفقرات المترابطة وصولا للخطاب. وهو "النحو الذي يدرس النص في ضوء وحداته اللغوية الكبرى، فيحلل الجملة في ضوء علاقتها بما يجاورها، ويدرس التشابك بين الجمل، فيدرس الوظيفة الدلالية للعناصر النحوية ويربطها بمضمون النص الكلي"[2]، يبحث نحو النص إذا في العلاقات النصية والأدوات والروابط النحوية والتركيبية المختلفة التي تربط بين الجملة في علاقتها بالجملة الأخرى محققة الاتساق بينهما ومشكلة النص بأكمله، ومنها: "علاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق والتقابل، والتراكيب المحورية، والتراكيب المجتزأة، وحالات الحذف، والجمل المفسرة، والتحويل إلى الضمير، والتنويعات التركيبية وتوزيعاتها في نصوص فردية، وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة، والتي لا يمكن تفسيرها تفسيرا كاملا دقيقا إلا من خلال وحدة النص الكلية".[3] تنحصر إذا مهمة نحو النص على وصف الأبنية اللغوية الداخلية للنصوص، دون تجاوزها للجوانب الدلالية والتواصلية. مما جعله يتنازل سريعا عن مكانته التي حظي بها في أول نشأته لعجزه عن مواكبة التطورات المتلاحقة لتحليل

النصوص والخطابات وانحصاره في الجانب النحوي التركيبي، وهو الأمر الذي تداركته الاتجاهات اللسانية الأخرى التي جاءت بعده والتي تجاوزت النظر في البنيات والمناحي النحوية والتركيبية إلى تحقيق غايات دلالية وتداولية تواصلية، حيث انفتحت على نظرة جديدة تنطلق من أن النص وحدة مستقلة عن الجملة ومن أن الجملة غير النص لكل منهما نظام يشتغل به ولا يمكن أن يخضعا لنفس طرق المعالجة والتحليل، فالنص يخضع لمعايير خاصة تأخذ بالحسبان المتلقي وتضع النصوص في إطار عملية التفاعل والتواصل بين متكلم ومتلق.

3.نشأة وتطور نحو النص:

يرى أغلب الباحثين أنه لم يبدأ الاتجاه إلى دراسة النص والخطاب في اللسانيات إلا مع بدايات النصف الثاني من هذا القرن، حين نشر زيلج هاريس (z.sharris)دراسته المعنونة ب" تحليل الخطاب discourse) analysis) (1952م)، وإن لم يسمها بنحو النص واستعان بمصطلح "تحليل الخطاب" إلاّ أن دراسته لم تتجاوز مستوى الجملة في تعريفه للخطاب بأنه "متتالية من الجمل تكوّن مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلها في مجال لساني محض."[4]، وكان قد كتب منبئا عن ذلك من قبل سنة (1952م):" أن اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسك، بدءا من القول ذي الكلمة الواحدة إلى العمل ذي المجلدات العشرة، بدءا من المونولوج وانتهاء بمناظرة جماعية مطولة".[5] بعدها بدأت تظهر في النصف الثاني من الستينات أولى المحاولات للانتقال من التحليل "المقصور على الجملة إلى تحليل أزواج الجمل، وكان لهذا صلة على الأقل بمفهوم الجملة المسلم به في النحو التوليدي التحويلي، فقد اجتهد هايدولف Heidolph 1966, في استنباط قواعد العلاقات السياقية للجمل في نحو توليدي، كما كان إيزنبرج 1968م أول من حاول أن يطور نحوا شاملا للنص، وبذلك اتسعت القواعد التوليدية المستخدمة في النحو التوليدي لإنشاء الجمل، لتشمل "قاعدة النص" التي يمكن بها أن توسع الجمل المفردة في النص"[6].تأسست نظرة هؤلاء للنص على أنه مجموعة من الجمل المترابطة، ثم عرفت الدّراسات النصّية بعدها (في السّبعينيات) مزيدا من التطوّر والضّبط، وخاصة على يد الهولندي تون أ. فان دايك(t.a. van dijk) وجهوده النصية في كتابيه: "بعض مظاهر نحو النص" (quelques aspects de la grammaire du texte) (1972) الذي اعترض فيه على النحو التقليدي من حيث أنه لا يلبي المطالب التي تقتضيها دراسة النص الأدبي، والشعري. "ودعا إلى اتباع طرق جديدة في تحليل المستويات الصوتية التركيبية والدلالية، للنص، منها الوقوف على ما يعتريه من إضافة أو حذف أو ذكر أو استبدال. وبهذا يكون فان ديك قد خرج بالنحو من الانكفاء على دراسة البنية الصغرى ممثلة بالجملة، إلى العناية ببنية أكبر، مكونة من جملة متصلة طويلة تؤلف وحدة معنوية هي النص"[7].

وله كتاب آخر بعنوان "النص والسياق (le texte et le contexte) (1977)"، الذي اقترح فيه "تأسيس نحو عام للنص يأخذ بعين الاعتبار كلّ الأبعاد التي لها صلة بالخطاب، مما في ذلك الأبعاد البنيوية

والسياقية والثقافية. وهو الأمر الذي جسّده فيما بعد في كتاب هام بعنوان "علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات" (1980م)"[8]. فكان بأعماله ومساهماته هذه يسعى لدراسة البنية النصية في أبعادها المختلفة، ومظاهر التماسك في النص.وقد لاحظ فان دايك أن "الجملة لا تتحقق هويتها إلا إذا كانت إلى جانب جمل وتراكيب أخرى. لذلك فإن محاولة وصف الكلام من خلال وصف الجمل، هو إجراء غير مضمون النتائج، وعليه فلا بد من أن يكون موضوع الدراسة والوصف وحدة لغوية أشمل هي النص."[9]

من هنا دعا في كتابه علم النص: "مدخل متداخل الاختصاصات" إلى عدم الاهتمام في المقام الأول "بأوجه الربط بين جمل متفرقة وقضاياها، بل بأوجه الترابط التي ترتكز على النص بوصفه كلا، أو على كل حال بالوحدات الكبرى للنص. ونطلق على هذه الأبنية النصية العامة الأبنية الكبرى (Makrostrukturen). ولذلك يمكن أن يطلق للتمييز على أبنية الجمل والتتابعات في النصوص الأبنية الصغرى (Mikrostrukturen)."[10] من هذا المنطلق جاء ليوجه اهتمام الباحثين إلىنحو النص في وحدته الشاملة أو الوحدات الكبرى، مقابل الوحدات الصغرى التي تمثل الجمل المنعزلة، وعليه يستنتج فان ديك تأسيسا على ذلك "أن اللغويين الوصفيين فاتهم أن يتأملوا الدور الذي تنهض به البنية الكبرى في إثراء الدرس اللغوي وإغنائه، مع أن الدور الذي تقوم به هذه البنية في توضيح دلالات الأبنية الصغرى، ودلالات النصوص، أكبر بكثير مما تقوم به البنية الصغرى، أي الجملة المنفردة، ومن هنا، فإن على علم النحو أن يسعى إلى وضع الضوابط التي تحدد العلاقات المتشابكة بين عناصر البنية الكبرى، التي تؤدي – فعلا – إلى إنتاج الدلالة التعبيرية للتراكيب."[11] فأولى بهذا عناية كافية لتصورات تشومسكي ومفاهيمه في حديثه عن البنية الكبرى والصغرى، والقواعد الكلية والجزئية للنصوص... فركز على "نحو النص التوليدي"، حتى جعل الصلة بين نحو الجملة ونحو النص "وثيقة إلى الحد الذي لم تنجح معه كل محاولات التمييز بينهما، إلا أن ذلك لا يعني الإخفاق في وضع تصورات واضحة عن مهام نحو النص، ويرى فندايك (Van Dijk) مثلا أن نحو الجملة يشكل جزء (كما) غير قليل من نحو النص، وتعد أهم مهمة لنحو النص هي صياغة قواعد تمكننا من حصر كل النصوص النحوية في لغة ما بوضوح، ومن تزويدنا بوصف للأبنية."[12] وبهذا فإن نحو النص لا يلغي نحو الجملة ولكن التطورات اللسانية استلزمت البحث في وحدة أكبر من الجملة أي الجملة في علاقاتها مع الجمل الأخرى المكونة للنص، من منطلق أن الفهم الحق للظاهرة اللسانية "يوجب دراسة اللغة دراسة نصية وليس اجتزاء الجمل والبحث عن نماذجها وتهميش دراسة المعنى كما ظهر في اللسانيات البلومفيلدية أول أمرها. ومن ثم كان التمرد على نحو الجملة والاتجاه إلى نحو النص أمراً متوقعا، واتجاها أكثر اتساقا مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث. إن دراسة النصوص هي دراسة للمادة الطبيعية التي توصلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللغة؛ لأن الناس لا تنطق حين تنطق، ولا تكتب حين تكتب جملا أو تتابعا من الجمل، ولكنها تعبر في الموقف اللغوي الحي من خلال حوار معقد متعدد الأطراف مع الآخرين."[13]

4 .نشأة وتطور اتجاه نحو النص في كتابات اللسانيين العرب المعاصرين:

لقد تطور هذا الاتجاه بشكل واضح في الدراسات اللسانية العربية والأكاديمية خاصة، فقد تبنت وتتبنى لليوم أعدادا هائلة من المقالات والدراسات والرسائل الأكاديمية والجامعية هذا الاتجاه في أعمالهم وبحوثهم، منهم من يربط هذا الاتجاه بالموروث النحوي العربي، ومنهم من يعده ذلك الاتجاه الحديث في الدراسات اللسانية النصية، الذي يقف على اتساق النصوص وانسجامها والآليات المساعدة على ذلك. غير أن أغلب الباحثين يرجح ريادة وأسبقية **أعمال سعد مصلوح** في تبني هذا الاتجاه في الوطن العربي، في بحثه الموسوم ب: "العربية من نحو الجملة إلى نحو النص" (1989م)، والذي أقر فيه صاحبه أن الدعوة إلى (نحو النص) قد ترددت في عملين سابقين لكاتب هذه الدراسة حاول فيهما بيان أهمية (نحو النص) والآمال المعقودة عليه في دراسة العربية وفقه نصوصها؛ فقد بين المؤلف في كتاب ا"لأسلوب : دراسة لغوية إحصائية " (1980م)، كيف استطاعت اللسانيات الحديثة وأن تنتقل بوسائلها المنهجية من العمل في إطار نحو الجملة و(Sentence grammar) وهو النحو الذي يعتبر الجملة أكبر وحدة في التحليل اللغوي – إلى محاولة ترسيخ نمط جديد من التحليل اصطلح على تسميتهم نحو النص: (text grammar) وهو النمط الذي يعتبر النص كله وحدة التحليل.... أما الإشارة الثانية فكانت وفي معرض استظهار كاتب هذا البحث لوجوه الافتراق بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية ؛ إذ عدد من بين أظهر هذه الفروق اعتماد البلاغة العربية على نحو الجملة ما هي نظر في بلاغة الشاهد والمثال ، على حين انفتحت أمام الأسلوبيات اللسانية آفاق من البحث لا تحدها حدود بتقدم طرق البحث في اللسانيات النصية في البحث المعنون ب" مشكل العلاقة بين البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية"(1988)[14].

بعدها بسنوات صدر **كتاب: نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا" للأزهر الزناد(1993م): وهو** من الكتب الهامة في النحو النصي هدف من خلاله صاحبه إلى وضع نحو عام للنصوص العربية على اختلافها، زاوج فيه بين التنظير والتطبيق،انطلق في دراسته من تعريفه للنص بأنه:" نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض. هذه الخيوط تجمع عناصره المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو مانطلق عليه مصطلح(نص)".[15] مركزا على خاصية الترابط، وجاء نحو النصوص حسب رأيه ليدرس النص "من حيث هو بنية مجردة تتولد بها جميع ما نسمعه ونطلق عليه لفظ "نص"؛ ويكون ذلك برصد العناصر القارة في جميع النصوص المنجزة، مهما كانت مقاماتها وتواريخها ومضامينها؛ وهي في هذا تتقاطع في موضوعها مع جميع العلوم المتعلقة بدراسة النص وتجمعها، فتتجاوزها لأنها أقصاها تجريدا في ما تقيمه، فلا تهتم بالمضمون وإنما تبحث في ما يكون به الملفوظ نصا، فتنظر مثلا في الروابط المختلفة بين جمل النص (التركيبية منها والزمانية وما كان منها بالمضمرات وغيرها)"[16]، من هنا جاء هذا الكتاب ليبحث عن خصائص النسيج في النصوص بالتركيز على ثلاث مجموعات من الروابط التي تحدد الصلة بين عناصرها المكونة؛ فدرس الروابط اللفظية والمعنوية والروابط الزمنية والروابط الإحالية، مراوحا في ذلك بينالتنظير والتطبيق، فكان التنظير فيه بمعنى استنباط القواعد من النصوص المحللة لا معنى قراءة هذه النصوص في ضوء نظريات سابقة، أما التطبيق فبمعنى الاعتماد على نص مختار "لإقامة جملة من

القواعد" من ناحية، وليتوسل بها إلى سبر انطباق تلك القواعد على غيره من النصوص من ناحية أخرى.[17]

قسّم الباحث كتابه إلى مدخل عالج فيه مفهوم النص وقضاياه اللسانية، ودوره في المنظومة الاجتماعية والفكرية، والفرق بين الجملة والنص،بعدها وقف عند حدود العلاقة بين النحوين، وفق ثلاثة ركائز أساسية هي: الموضوع، والمنهج والغاية؛ ليتوصل إلى أن نحو الجملة لايزال قائما ولا يمكن "لنحو النص أن يقوم بإلغائه، فمازال نحو الجملة يقوم بدوره من خلال الحفاظ على المعنى الجملي الذي هو أساس المعنى النصيّ، ولهذا فلكل منهما حدود معينة، وليس لأحدهما أن يقوم بإلغاء الآخر، فهما فرعان لعلم واحد وهو النحو، فالحاجة إليهما معا ضرورية".[18]

بعد المدخل اشتمل الكتاب على ثلاثة أقسام، ويبدو من خلال النظر فيها " أن المؤلِّف كان يتغنى الوقوف على طبيعة العلاقات الرابطة بين أجزاء النص، والوظائف التي تؤديها تلك العلاقات، وهي الوظائف التي تجعل النص نسيجا متماسكا. وقد وجد الزناد أن الروابط التي تحدد الصلة بين العناصر المكوِّنة للنص، أو التي يكون بها الملفوظ نصا تنقسم على ثلاثة أقسام: الروابط التركيبية, والروابط الزمانية، والروابط الإحالية."[19] فقَسَّم الكتابَ على وفق هذه الأنواع أقساما ثلاثة، وجَعل كل قسم على فصلين: الأول للتنظير، والثاني للتطبيق، ثم اعتمد على تطبيق هذه الروابط على أربعة من النصوص المتنوعة والمصنفة إلى صنفين:صنف النصوص المحللة لغاية استنباط القواعد، وقد مثله نص نثري فني من كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني. وصنف النصوص المحللة ليسبر بها انطباق تلك القواعد على سائر النصوص، وقد مثلته نصوص ثلاثة: نص لمحمود المسعدي من كتابه (حدّث أبو هريرة قال...) ونص شعري لأبي نواس وسورة الفيل من القرآن؛ فكانت نصوصه مختلفة في (نظمها ومواضيعها)؛ ولا شك في أن المؤلف قصد من ذلك الإحاطة بجوانب الربط في مختلف السياقات.[20]

وفي سنة 1999م ناقش الباحث محمد الشاوش أطروحته للدكتوراه بجامعة المنوبة تونس، والتي طبعت في مجلدين سنة 2001، المجلد الأول بعنوان: "**أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)**"، وهو عمل ضخم يبدو من خلال العنوان أنها دراسة تراثية بالدرجة الأولى، حاولت استثمار معطيات النظرية النحوية العربية لإثبات وجود نظرية نصية لدى علمائنا العرب، وصف الباحث منهجه في الدراسة بقوله: "كان النطاق الذي تحرك فيه عملنا هو إطار النظريات النحوية والبلاغية العربية، غير أننا لا نعتبر أن مساءلة التراث – من زوايا لم تقع قراءته في ضوئها من قبل – يمكن أن تقطع عن جهد البحث والإسهام في بناء النماذج الحديثة. فلقد أنتجنا في بحثنا خطابا يحتضن مستويين متعاضدين: مستوى كبير أول فيه تدبر لوجوه معالجة المنوال اللغوي العربي للظواهر التي تثيرها مسألة تركب النص والعلاقات النسقية بين الأجزاء المكونة له ومستوى ثان فيه "محاورة" ومساءلة لأبرز الأنماط الحديثة التي اقترحت في وصف النص وفيه أسئلة وقضايا ومشاريع حلول يمكن بها أن تمثل قراءتنا للتراث إسهاما في حركة البحث الحالية في النص".[21]

انطلق الباحث في هذا الكتابمن مجموعة من التساؤلات أبرزها: تتعلق بإثارة مسألة العلاقة بين نحو الجملة وما سمي حديثا "نحو النص": أهي علاقة تقابل وتواز أم علاقة احتواء أم علاقة انتماء إلى ضرب آخر من العلاقات؟ ومسألة هل للنص قواعد خاصة به، تتميز عن قواعد الجملة، أم هل إن قواعد النص هي قواعد الجملة موسعة، أم هل توجد قواعد عامة تولد النص والجملة على حد سواء؟[22]، والتي أجاب عنها في متن الكتاب فتناول العلاقة بين النحوين وخصوصية كل واحد منهما، ووضح فيه كل المفاهيم المتعلقة بالجملة والنص والنحوين قديما وحديثا، والنظريات التي اهتمت بهما مأصلا لكل منهما في الدراسات النحوية العربية والغربية.

وأرجع الباحث أسباب هذه النقلة النوعية إلى ثلاثة أسباب رئيسية:[23]

السبب الأول:ضيق مجال الدراسة اللسانية وإقصاء الدلالة والمعنى والسياق فكان من نتيجته البحث عن السبل التي يتم بها توسيع مجال الدراسة اللسانية والخروج عن قيود نحو الجملة، ومن ثم التوجه إلى اقحام الخطاب والنص وبعض المعطيات التداولية وربط الصلة بين ميادين وعلوم أخرى لها صلة بالمؤسسة اللغوية كالتاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع والنقد الأدبي.

ثانيا: الأزمة التي شهدتها التيارات النقدية في أواسط الستيّنات والتي جعلتها تتوجه إلى علم اللغة بحثا عن الحلول للمأزق التي ظهرت فيها.... ولما كان عماد الأدب والنقد النصوص لا الجمل فإنهم قد وجدوا في ذلك المطية الشرعية للدعوة إلى توسيع موضوع الدراسة اللغوية ليشمل النص والخطاب ويتجاوز حدود الجملة الواحدة.

ثالثا: الحرص على توفير الملائمة في الدراسة اللغوية والتي أعتبرها من الدوافع النابعة من الدراسات اللسانية ذاتها من حيث الخصوصيات والاختيارات المنهجية والنظرية التي غلبت عليها قبل التفات الدارسين إلى النص، والتي كانت نابعة من وجوب تجاوز القدرة والجملة إلى الاهتمام بالإنجاز والنص لتحقيق الملاءمة.

ثم رصد العلاقة بين نحو الجملة ونحو النّص محاولا الإجابة على التساؤل الذي طرحه في مقدمة عمله فجعلها على ثلاثة أنواع من العلاقات المختلفة باختلاف أوجه نظر أصحابها لكلا النّحوين هي:[24]

علاقة انفصال: ذهب بعض الدّارسين إلى وجوب الفصل بين نحو الجملة ونحو النّصّ باعتبارهما كيانين مختلفين منتميين إلى أصناف شكليّة متباينة، من بينهم(Gopink) وحجّتهم في ذلك أنّ اختلاف أصنافهما الشّكليّة يمنع تولد أحدهما عن الآخر، من هذا المنطلق يكون النّص مجموعة والجملة عنصرا فردا.

علاقة اشتمال: وذهب فريق آخر إلى أنّ نحو النّصّ مشتمل على نحو الجملة تبعا لاشتمال النّصّ للجملة، فكلّ ما دخل في موضوع لسانيّات الجملة فهو داخل في موضوع نحو النّصّ، والعكس غير صحيح فالعلاقة بهذا الاعتبار تتحوّل من القيام على التّكامل إلى القيام على الاحتواء والاشتمال، أي احتواء الكلّ (نحو النّصّ) للجزء (نحو الجملة)، وهو ما ذهب إليه(wirrer)و (van djik).

وتكمن قيمة الكتاب في كون الباحث بذل مجهودا كبيرا في استقرائه للتراث، مصرحا بذلك في قوله: "رجعنا إلى

أمهات كتب النحو والبلاغة، ومن كتب النحو نذكر: الكتاب لسيبويه والمقتضب للمبرد والأصول لابن السراج ومغني اللبيب لابن هشام، ومن الشروح نذكر: شرح المفصل لابن يعيش وشرح الكافية (...) للأستراباذي، ومن كتب الأصول نذكر: الخصائص لابن جني، ومن أمهات كتب البلاغة نذكر: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ومفتاح العلوم للسكاكي، ومن الموسوعات المتأخرة نذكر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي."[25] ولا شك أن الدراسة التي قامت على هذه الكتب ستكون فتحا جديدا في الدراسات النحوية العربية الحديثة. ثاني ما ميز مؤلفه أن الباحث اعتمد على دراسات غربية ضخمة في محاولة منه لتقديم نظرية نحوية نصية متكاملة الأركان انطلقت من أمهات كتب النحويين والبلاغيين إلى أحدث ما توصلت إليه النظريات اللسانية النصية الغربية.

في نفس السنة صدر بالقاهرة كتاب "نحو النص" لأحمد عفيفي الذي يعد من أبرز الكتب التعريفية والتمهيدية بنحو النص، والذي لا يقل أهمية عن سابقيه، جمع هذا الكتاب بين التنظير والتطبيق، انطلق عفيفي في دراسته من ملاحظتين هما:[26]

1- أن هذا الاتجاه الجديد كان نتاج تفاعل مجموعة من العلوم المتنوعة، بعضها لغوي، وبعضها الآخر غير لغوي ونتاج مجموعة من الثقافات المختلفة وتلاحقها وتمازجها.

2- إن نحو النص جاء تطويرا لبحوث لغوية مكثفة قامت بها المدارس اللغوية الأوروبية والأمريكية لفترة طويلة.

اتخذ الباحث "نحو النص" عنوانا لدراسته مفصحا عن السبب في المقدمة بقوله: "كان اختياري نحو النص " (Text grammar) اتجاها معاصرا في دراسة النص اللغوي؛ إيمانا بأن هذا النحو" يجتذبه النص أكثر مما تجتذبه الكلمة أو الجملة، وأن تجزئة النص ليست إلا وهما أو خيالا. وبهذا المفهوم يتجاوز النص كل حدود المعيارية لنحو الجملة (sentence grammar)، كما أنه يتجاوز كل عادات القراءة التقليدية. وطرق التحليل النحوي المعروفة، التي خدمت اللغة قرونا طويلة، وما زالت."[27]لتكون بهذا دراسته للنص دراسة نحوية منطلقا من أن "مهمة النحو أن يجلي عبقرية النظام اللغوي في النص وقدرته على التعبير الدقيق من خلال وسائل التماسك النصي لفظا ومعنى، تلك الوسائل التي تساعد النص على تلاحم أجزائه وترابطها: ليعطي معناه للمتلقي كما أراده المبدع أو المتكلم."[28] كما يعتبر العنوان أنسب اختيار لدراسته التي ركز فيها على دراسة الترابط النصي وأشكاله ووسائله وتحليل الخواص التي تؤدي إلى تماسك النص.

قسّم الكاتب بحثه إلى مقدمة وستة مباحث افتتح حديثه في **المبحث الأول** بمدخل تعريفي عرّف فيه بأهم المصطلحات التي يدور حولها موضوع الكتاب (الجملة، النص، نحو النص، مع إشارة إلى نشأته)، معتبرا أن: "مصطلح " نحو النص " واحد من المصطلحات التي حددت لنفسها هدفا واحدا وهو الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية، وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي. اشترك مع مصطلح نحو النص في تحقيق هذا

الهدف بعض المصطلحات التي تعني بذلك أيضا وهي: "علم النص"، و"علم اللغة النصي"، و"نظرية النص"وإن كان مصطلح"نحو النص" أكثر اقترابا من تحقيق الهدف وتوضيح صور التماسك والترابط النصي".[29] من أهم النقاط التي عالجها كغيره من الباحثين أسباب الانتقال من نحو الجملة إلى نحو النص أبرزها:[30]

1-الإحساس الطاغي بالوظيفة الاجتماعية للغة، وإلى ضرورة وجود الدور التواصلي الذي يعده علماء اللسانيات جوهر العمليات الاجتماعية، تلك الوظيفة الاجتماعية، وهذا الدور التواصلي للغة يفسحان الطريق للنحو أن يتسع مفهومه، ليصبح مكونا من مكونات نظرية شاملة، تفسر السلوك الإنساني، وهذا لا يتم إلا من خلال نص مرتبط بسياق تواصلي وليس من خلال جملة.

2-إن كثيرا من الظواهر التركيبية لم تفسر في إطار الجملة تفسيرا كافيا مقنعا، وربما تغير الحال إذا اتجه الوصف إلى الحكم على هذه الظواهر في إطار وحدة أكبر من الجملة أي (النص)، من هنا فإن نحو النص يهتم في تحليلاته بضم عناصر جديدة لم تكن موجودة في نحو الجملة. هي القواعد المنطقية والدلالية والتركيبية ليقدم شكلا من أشكال التحليل لبنية النص وتصور معايير التماسك والترابط والانسجام.

بعدها تناول العلاقة بين نحو النص والسياق، ثم تعرض بعدها لموضوعات نحو النص معتبرا "أن نحو النص – باختصار شديد – يتناول كل أشكال الأبنية وأنواع السياقات ومستويات اللغة. ودرجات الربط النحوي، والتماسك الدلالي والنماذج الهيكلية المتنوعة، النظرية والتطبيقية. كما أنه يمكن أن يكون معينا على تفسير ما عجزت عنه الأنحاء الأخرى. إن كثيرا مما وصف بالشذوذ في قواعد اللغة يمكن أن نجد له تفسيرا مقنعا في نحو النص"[31] كما ارتبطت موضوعاته أيضا "بالخطاب العام والسياق التواصلي وظهر للمتلقي دور كبير في العملية الإبداعية للنص، كما ظهر أن قواعد نحو النص تؤخذ من النص لتؤكد نصيته، وقد يحتاج النحوي إلى إضافة قواعد أخرى لتأكيد نصية النص."[32]

تعرض في الكتاب إلى المبادئ الحاكمة لكلا النمطين مبرزا ملامح الاتفاق والاختلاف بينهما، ليصل إلى نتيجة مفادها أن نحو الجملة لا يزال قائما ولا يمكن "لنحو النص أن يقوم بإلغائه، فمازال نحو الجملة يقوم بدوره من خلال الحفاظ على المعنى الجملي الذي هو أساس المعنى النصيّ، ولهذا فلكل منهما حدود معينة، وليس لأحدهما أن يقوم بإلغاء الآخر، فهما فرعان لعلم واحد وهو النحو، فالحاجة إليهما معا ضرورية".[33]

في حين كان المبحث السادس مبحثا تطبيقيا بحتا، أفرده لدراسة الترابط النصي أشكاله، ووسائله. فقال: "ويعد الترابط النصي – أنواعه ووسائله – موضوعا مهما من موضوعات نحو النص فقد أفرد له هاليدي ورقية حسن كتابا مستقلا. وشغل حيزا كبيرا في مؤلفات فان دايك ودريدا ودي بوجراند وغيرهم. مما يجعلنا نفرد له المبحث السادس من هذا البحث ."[34] تحدث فيه عن مفهوم الترابط والخواص التي تؤدي إلى تماسك النصوص، لما لها من أهمية وخاصية دلالية للخطاب، وجعل للترابط شكلان: الترابط الرصفي، والترابط المفهومي؛ والقارئ لكتابه

يقف على تنوع بارز في الروافد التي استقى منها والنظريات التي اعتمد عليها والتي كان أبررزها:جونليوز، وفيرث وهاليداي ورقية حسن، وروبرت دي بوجراند ...وغيرهم، بالإضافة إلى جملة من المصادر العربية؛ وقد تميز الكتاب باختلاف النصوص التطبيقية وتنوعها بين النثر (نصوص للأديب يوسف الشاروني)، والشعر (أبيات من قصائد أبي نواس، وأمل دنقل، ونازك الملائكة)، والنص القرآني، وتكامل وتناسب مستويات تحليلها وفق أدوات الاتساق والانسجام المختلفة.

ثم في سنة 2004م أصدر عمر أبو خرمة كتابه الموسوم ب"نحو النص نقد النظرية... وبناء أخرى"، وهي دراسة أفردها الباحث لدراسة نحو النص وما يتعلق به قسّم الكاتب بحثه فصلان فصل نظري أطرد فيه في الحديث عن النص في الثقافتين العربية والغربية، وحديث عن اتجاه نحو النص في التراث العربي عند كل من(الجرجاني، والبقاعي، وسعيد حوى، ووليد منير)، ثم الحاضر الغربي عند كل من (هاليداي ورقية حسن، فانديك وبراون ويول)؛ وفصل ثان تطبيقي طبق فيه كل ما تناوله في التنظير على النص القرآني، مبرزا معالم نحو النص وأدواته.[35] **بعدها بسنوات صدر كتاب "في اللسانيات ونحو النص" لابراهيم محمود خليل، الصادر سنة 2007م انطلق** فيه الباحث من العام إلى الخاص، فتناول فيه المدارس اللغوية المعاصرة، وحديثا مكثفا عن اللغة والدرس الصوتي عند "ابن سينا وسيبويه" في ضوء الدرس اللساني الحديث؛ والدرس الصرفي والنحوي وعن اللغة والنحو، ثم بدأ بالتخصيص للحديث عن "نحو النص" انطلاقا من الجملة أو البنية الصغرى، إلى البنية الكبرى _النص_، فتناول قواعد النص عند فان ديك وهاليداي ورقية حسن ودي بوجراند وغيرهم، ثم عرج إلى العرب فتناول قواعد التماسك النحوي عند "عبد القاهر الجرجاني"، وختمه بدراسة تطبيقية لمفاهيم نحو النص على قصيدة: "هل تذكر؟" لفدوى طوقان.[3736] بعدها توالت الدراسات والأبحاث في هذا الاتجاه وأخذت تتطور وتأخذ مناحي عدة، فمنهم من أخذ جانبا واحدا من جوانب الدراسة كالاتساق أو الانسجام، في حين اتخذت دراسات أخرى عنصرا أو جزء من هذا الجوانب كالإحالة، أو الاتساق المعجمي....، خاصة في الدراسات الأكاديمية حيث تبنت أعداد لا بأس بها من الرسائل والأطروحات التي وجدت متفرقة في الجامعات العربية هذا المجال وعنيت بدراسته تنظيراً وتطبيقاً، خاصةً في الآونة الأخيرة_لا تكفي هذه الورقة للإحاطة بها جميعا.

5.خاتمة:

-يمثل اتجاه نحو "النص" أول مرحلة من مراحل الانفتاح على وحدة أكبر من الجملة في الدراسات اللسانية إلى النص قامت على توسيع النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي التي قامت أساسا على دراسة الجملة ومحاولة توسيعها واسقاط قواعدها لتشمل النص، والتي سرعان ما أثبتت عجزها وذلك لأن الجملة غير النص لكل منهما نظام يشتغل به ولا يمكن أن يخضعا لنفس طرق المعالجة والتحليل.

-بدأت إرهاصات هذا الاتجاه في بداية النصف الثاني من هذا القرن، ثم عرف هذا النحو في السبعينيات، تطوراً

بارزا مع الباحث الهولندي فانديك (van dijk) الذي أولى عناية كافية به، وقدم بحوثا قيمة عن تحليل النصوص عمق فيها بدرجة كبيرة تصورات تشومسكي ومفاهيمه.

– لم ينشأ هذا الاتجاه من فراغ وإنّما كان قائما أساسا على نحو الجملة وامتداداً لها، وعليه فإن الصلة بين نحو الجملة ونحو النص وثيقة إلى الحد الذي لم تنجح معه كل محاولات التمييز بينهما.

–ارتكز نحو النص عل جانب من الدراسة اللسانية النصية وهو ما يتعلق بالبنية الداخلية النحوية والتركيبية للنصوص، ولم يهتم بالعلاقات الدلالية والتواصلية الأمر الذي جعله يتخلى سريعا عن مكانته التي حظي بها أول مرة خاصة مع التطورات المتلاحقة للدراسات والاتجاهات اللسانيّة التي أعقبته والتي تداركت تلك النقائص وطورت من النظرة للنصوص والخطابات وطرق معالجتها وتحليلها، فباتت النصوص والخطابات تدرس ضمن أقطاب العملية التواصلية وفي سياق تفاعلي بين المخاطب والمتلقي والظروف المحيطة بهذا الحدث.

–وفي الأخير وقفنا على نشأة وتطور هذا الاتجاه في الوطن العربي وكيف اختلف الباحثون العرب في تبنيه واستثماره في دراسة النصوص والخطابات العربية على تنوعها واختلافها بقراءة في أبرز المؤلفات في هذا المجال.

6- الهوامش:

[1] سعد مصلوح، العربية: من نحو الجملة إلى نحو النص، ضمن الكتاب التذكاري الأستاذ هارون، جامعة الكويت، 1990م، ص407.

[2] محمود عكاشة، تحليل النص "دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي"، مكتبة الرشد، ط1، 2014، ص18.

[3] – المرجع السابق، ص135.

[4] – عزمي محمد عيال سلمان، علم لغة النص (الإرهاصات الأولى وبداية النشأة)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثالث عشر، مايو 2014، ص149.

[5] فولفجانجهاينه من، ديترفيهفيجر، تر فالح بن شبيب العجمي، مدخل إلى علم اللغة النصي، مدخل إلى علم اللغة النصي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، 1999م، ص21، ص28.

[6] – المصدر نفسه، ص24.

[7] ابراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، ط1، عمان، 2007، ص195.

[8] ينظر محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م، ص62

[9] المصدر نفسه، ص65.

[10] تون فان دايك، علم النص مدخل متداخل الإختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، ، ط2، 2005م، ص74.

[11] ابراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، (مصدر سابق)، ص196.

[12] – سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1، 1997م، ص135–136.

[13] – سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، الكتاب التذكاري بقسم اللغة العربية، جامعة الكويت، 1990م، ص413.

[14] ينظر، سعد مصلوح، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، ص،409.

[15] الأزهر الزناد، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م، ص12.

[16] المصدر نفسه، ص18.

[17] ينظر، المصدر نفسه، المقدمة، ص06.

[18] أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م، ص133.

[19] خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ط1، 2015، ص:121–122.

[20] ينظر، الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، (مصدر سابق)، ص06.

[21] محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، مج1، جامعة منوبة كلية الآداب منوبة، تونس، ط1، 2001م، ص14.

[22] ينظر، المصدر نفسه، ص15-16.

[23] ينظر، المصدر نفسه، ص80-81.

[24] ينظر، المصدر نفسه، ص100-101.

[25] المصدر السابق، ص18.

[26] أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، (مصدر سابق)، ص10.

[27] المصدر نفسه، ص09.

[28] المصدر نفسه، ص09.

[29] المصدر نفسه، ص31.

[30] ينظر، المصدر نفسه، ص39 -41.

[31] المصدر نفسه، ص57.

[32] المصدر نفسه، ص60.

[33] المصدر نفسه، ص133.

[34] المصدر نفسه، ص61.

[35]- ينظر، عمر أبو خرمة، نحو النص نقد النظرية... وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2004م، (المقدمة).

[37]- ينظر، إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، ط1، عمان، 2007، ص09-10.

7.قائمة المراجع:

الكتب:

1. إبراهيم محمود خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة، ط1، عمان، 2007م.
2. أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م.
3. الأزهر الزناد، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993م.
4. تون فان دايك، علم النص مدخل متداخل الإختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة، ، ط2، 2005.
5. خالد حميد صبري، اللسانيات النصية في الدراسات العربية الحديثة، دار ومكتبة عدنان، بغداد، ط1، 2015م.
6. سعيد حسن بحيري، علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط1، 1997م.
7. عمر أبو خرمة، نحو النص نقد النظرية... وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2004م.
8. فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر، تر فالح بن شبيب العجمي، مدخل إلى علم اللغة النصي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، 1999م.
9. محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م.
10. محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس نحو النص)، مج1، جامعة منوبة كلية الآداب منوبة، تونس، ط1، 2001م.

11.محمود عكاشة، تحليل النص "دراسة الروابط النصية في ضوء علم اللغة النصي"، مكتبة الرشد، ط1، 2014م.

المقالات:

1. سعد مصلوح، العربية: من نحو الجملة إلى نحو النص، ضمن الكتاب التذكاري الأستاذ هارون، جامعة الكويت، 1990م.
2. عزمي محمد عيال سلمان، علم لغة النص (الإرهاصات الأولى وبداية النشأة)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع1، مايو 2014.